

أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره

بقلم:

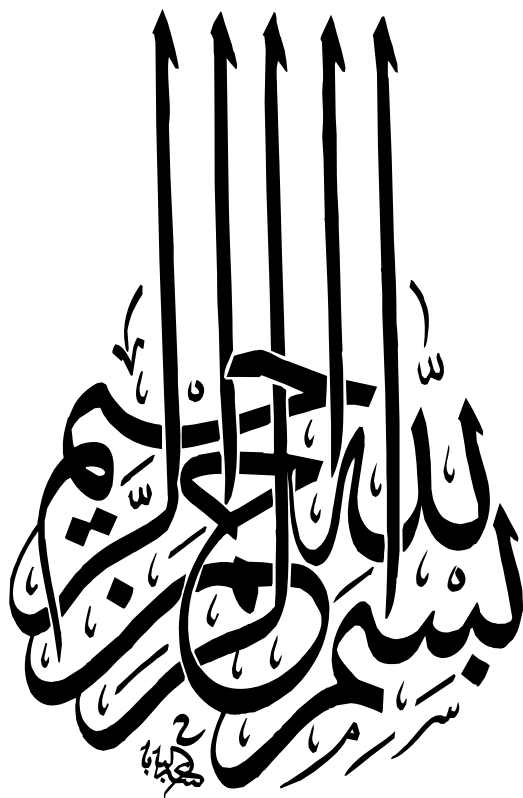
د. سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّهْرَانِيَّ

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والأديان - جامعة أم القرى
والمستشار برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بحث مقدّم لمؤتمر « العالم الإسلامي والغرب
الحواجز والجسور »

والمعقد بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا
تنظيم: « المعهد العالمي لوحدّة الأمة الإسلامية »

في الفترة ١٢-١٤/٨/١٤٢٧هـ الموافق ٥-٧/٩/٢٠٠٦م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله وصحبه أجمعين،
وبعد: -

الإسلام دين الحوار، فلقد أرسى قواعده، وقيد ضوابطه، وبين آدابه، في
نصوص متكاثرة في كتاب الله تعالى تضمنت أروع البيان، وأصول المناظرة، وآداب
المحاورة، وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ القولية والعملية، ما يعين المحاور، فلقد دعا
المصطفى ﷺ إلى الله وحاور، وناظر، وباهل، فكان خير أسوة للمتحاورين.

والمحاور المسلم لا ينطلق في حواراته من فراغ، بل له أهداف سامية معلومة؛ إذ
إن أهداف الحوار هي ثمرته وغايته المطلوبة، وبتحديد هذه الأهداف تتضح
موضوعاته وأساليبه وأهدافه، وعليه فإن الحكم على الحوار حرمةً وجوازاً، نجاحاً
وفشلاً، قوةً وضعفاً، إنما يكون بمعرفة أهدافه، فالقاعدة الشرعية تنص على أن الأمور
بمقاصدها، وبدون تحديد هذه الأهداف يبقى الحوار ضياعاً للوقت، وهدرًا
للطاقات، وإشغالاً للأمة بما لا يرتجى منه فائدة.

وسيجد المتتبع لحوارات النبي ﷺ سواء مع أصحابه أو مع المشركين أو اليهود
والنصارى، أو الملوك والأمراء، أن لها أهدافاً عظيمة ربانية، ترتقي وترفع عن
الأهداف الأرضية المادية التي يسعى لها بعض البراجماتيين والنفعيين.

ومما يؤسف له أنه دخل باسم الحوار والدفاع عن الإسلام من ليس مؤهلاً
لذلك، فتصدّر الروبيضات لهذه الحوارات، وسكت الثقات، عن تمثيل الإسلام في
المحافل ووسائل الإعلام.

والدعاة إلى الله مطالبون بإقامة الحجّة، وإبلاغ الرسالة للناس كافة، فلا بد لهم
أن يتسلحوا بعلم « المحاورة وآداب المناظرة » ويجذروا من الوقوع في شرك هذه
المحاورات الجدلية المغرضة.

ولذلك حاولت في هذا البحث المتواضع أن أقدم أهدافاً مشروعة للحوار مع الغرب، يضعها المحاور المسلم نصب عينيه، ومحاذير ينبغي الوقاية من الوقوع فيها، فقد وقع فيها ثلثة من المحاورين بعلم أو بجهل أو بتأويل غير سائغ، فلا هم للإسلام نصرُوا، ولا لشبهات الغرب كسروا، بل خذلوا وأضروا أكثر مما نفعوا.

والحوار الذي أعنيه، ليس حوار التقريب بين الأديان المحرم والمحذور، إنما حوار التعايش الحضاري بيننا وبين الغرب.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد فيما ذكرت من أهداف ومحاذير..
سائلاً المولى ﷻ أن يجعل عملي لوجهه خالصاً..
وهو حسبي وبه توفيقى، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

كَلْبَرُ

د. سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ الشَّهْرَانِيِّ

مكة المكرمة

تعريف الحوار

الحوار في اللغة: أصله من الحَوْر وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء^(١).

قال الجوهري: حار يجور حورًا وحؤورًا: رجع، يقال: حار بعدما كار، والمحار: المرجع، والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب^(٢).

وقال الفيروز آبادي: «وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب»^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: «الحَوْرُ التردد إمَّا بالذات وإمَّا بالفكرة ... والقوم في حَوَارٍ في تردد إلى نقصان ... والمحاورة والحَوَار: المرادة في الكلام ومنه التحاور، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَهُمْ كَمَا﴾ [المجادلة: ١]»^(٤).

إذا فالحوار في اللغة هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة.

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي، فمصطلح الحوار من المصطلحات الحادثة والجديدة.

يقول د/ عبدالعزيز التويجري: «مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر، من المفاهيم الجديدة، حديثة العهد بالتداول، ولعل مما يدل على جدة هذا المفهوم وحدثته أن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة، بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة، تخلوا من الإشارة إلى لفظ الحوار»^(٥).

ومصطلح «الحوار» قد يُراد به «حوار التقريب بين الأديان»، وقد يراد به «حوار التعايش» بين أتباع الأديان، فهو بالمعنى الأول مذموم مطلقًا، وبالمعنى الثاني يخضع

(١) لسان العرب (حور) (٤/٢١٧).

(٢) الصحاح (حور) (٢/٦٤٠).

(٣) القاموس المحيط (حور) (٢/١٦).

(٤) المفردات ص (١٣٤).

(٥) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي ص (٧).

للسياسة الشرعية للأمم، وللأهداف المرسومة لهذا الحوار^(١). وهذا ما أردته في هذا البحث.

وثمة ألفاظ استخدمت بدلاً عن الحوار منها (المناظرة، الجدل، المحاجة). وهذه المصطلحات كلها تشترك مع الحوار في أنها مراجعة الكلام ومداولة له بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفرق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكير، كما أنها تتمد على الصرامة العلمية، والقواعد المنطقية، أما الجدل والمحاجة فهي تفرق عن الحوار في دلالتها على المخاصمة والمنازعة^(٢).



(١) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٤/١٦٦٣).

(٢) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي: ص(٢٦-٣١)، ثقافة الحوار في الإسلام: ص(١٩-٥٦)، وفيها عرض موسع للفرق بين الحوار والمصطلحات المقاربة له.

أهمية الحوار في الإسلام

الإسلام دين الحوار، ولا توجد ملّة من الملل أعطت للحوار أهميته، ووضعت له قواعده وضوابطه وآدابه كملّة الإسلام، ولن يعدم المحاور قاعدة منطقية للحوار إلا وجد دليلها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا دليل على حيوية وواقعية الإسلام وقدراته على كونه ديناً لكل الأزمنة والأمكنة^(١)، رغماً عن أنف المتشدين، الغافلين عن عظمة هذا الدين وشموليته وكماله.

والقرآن الكريم كتاب حوار، فلقد حفل بالعديد من المواقف الحوارية، التي بمعنى المراجعة والمرادة في الكلام بلغت قرابة مائة وعشرين موقفاً حوارياً، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس أي القرآن، هذا سوى الآيات الخطابية المصدرة بـ(يا أيها الناس) و(يا أهل الكتاب)، و(يا أيها الذين آمنوا)، وسوى آيات المسائلة والمحاجة التي لا يعقبها جواب، وآيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام، وإن كانت هذه جميعاً في الواقع تحمل طبيعة الحوار ولو جرى حسابها جميعاً لصار القرآن كله كتاب حوار^(٢).

وقد يقول قائل: إن كلمة حوار لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلاث آيات^(٣)، فكيف يقال إن القرآن الكريم كتاب حوار!؟

فالجواب إضافة إلى ما سبق ذكره أنه وإن لم تستعمل كلمة حوار بكثرة، فقد استخدمت مادة (القول) التي وردت في (١٧٢١) موضعاً، والملفت للنظر هنا أن كل كلمة تكلم بها الآخرون ردّ عليها الله تعالى في القرآن الكريم وطالب النبي بأن يرد على شبهاتهم ودعائهم، فكل كلمة (قالوا) في القرآن الكريم يوجد مقابلها كلمة (قل).

(١) انظر: ثقافة الحوار في الإسلام، د/ عبدالقادر الشبخلي: ص (٧-٨).

(٢) الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، د/ أحمد القاضي: ص (١٨٨).

(٣) في سورة الكهف موضعين الآية رقم (٣٤)، والآية رقم (٣٧)، وفي سورة المجادلة آية رقم (١).

وقصص القرآن الكريم عن الأنبياء وأقوالهم إنما هي في الحقيقة حوارات
أنموذجية للمسلم الداعية في كل زمان ومكان ليتعلم منها كيف يجاور الآخرين^(١).

كما أن تعرض القرآن الكريم للحوار جاء بأساليب مختلفة متعدّدة، ففي بعض
الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص
أخرى حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب
الحوار، وفي قسم آخر نماذج وأمثلة للحوار^(٢).

فمن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار وأصوله وشروط الانتفاع
به قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا
بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

وتأتي هذه الآية ردًا على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبر أو تكفير
فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها.

فأقام الله ﷻ هذه الموعدة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن
يصل إلى الحق، وهذه المقومات هي:

١ - القيام لله تعالى ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحق،
وهو شرط أساسي لكل عمل، ويندرج تحت هذا الأصل آداب كثيرة للحوار منها:
تصحيح النية، وحسن الاستماع، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الحق، والتواضع
وتجنب الكذب والمراوغة، والأمانة، والإنصات، والعدل، والهدوء، وضبط النفس،
وعدم الغضب، وتجنب الاستهزاء والسخرية بالطرف الآخر.. وغير ذلك.

٢ - مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين ﴿ مِثْلَ وَفُرَادَى ﴾، والالتزام بهذا
الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوّه وجهه، وذلك في
مثل الأجواء الجماعية والجمهير الجاهلة، والتي غالبًا ما تتصف بالغوغائية والتقليد

(١) الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، د/ بسام عجاج: ص (١٨٨).

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د/ يحيى زمزمي: ص (٤٨).

الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس، متهمًا نفسه، ظانًا أن الحق مع الأكثرية.

وهذا الأصل أيضًا يدخل تحت عدة أمور تجب مراعاتها، كمرعاة الجو المحيط بالحوار، والظروف النفسية والاجتماعية للطرفين والتعارف قبل الحوار، والتحدّي والإفحام، والمحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجته.

٣ - التفكير فيما يقوله المخالف ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق بعد الالتزام بالشرطين السابقين، فالتفكير والعلم وإمعان الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وتبين الهدى من الضلال، لأن أداة التفكير الأساسية هي العلم بحال القضية المختلف فيها ومعرفة ملبساتها، والمقصود بالتفكير هو البحث عن الأدلة الشرعية العلمية والتحقّق من ثبوتها ودلالاتها على المراد، والجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق فيوجهه التقليد الأعمى دون فكر أو نظر.

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية كالبيان وحسن العرض والتثبت والتوثيق، والبدء بمواطن الاتفاق وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق والبدء بالأهم.^(١)

ولا يسع المقام البسط عن حديث القرآن عن الحوار، أما السنة النبوية فهي عامرة بالمواقف الحوارية الرائعة، والمناظرات المقنعة، وسيرته العملية ﷺ في دعوة كفار قريش وأهل الكتاب: من يهود المدينة، ونصارى نجران، ومكاتبته لملوك الأرض، خير دليل على ذلك، وعلى إثره درج أئمة السلف من الصحابة والتابعين في محاوره المخالفين.

(١) الحوار آدابه وضوابطه، د/ يحيى زمزمي: ص(٤٩-٥١) باختصار.

الأهداف المشروعة للحوار مع الغرب

في الحوار مع الغرب طرفان ووسط، أما الطرف الأول فيرى المنع والتحفّظ على هذه الحوارات لارتباط الحوار بالتنصير كما يقولون^(١)، وارتباطه بالتهيئة للاستعمار، ونحو ذلك، ويرى بعض الباحثين أن هذه حجج وقتية، قد لا ترقى إلى العلمية الموضوعية^(٢)، وهذا الرأي وجيه إذا كان المقصود بالحوار حوار التقريب بين الأديان، أما إذا كان حوار التعايش السلمي ففيه مبالغة وتجاوز.

أما الطرف الثاني: فهو الذي يرى الحوار مع الغرب مطلقاً دون أهداف معلومة، وضوابط مشروعة، فأصبح مجرد الحوار هو الهدف، والموقف الاعتذاري الانهزامي هو الطابع لهذا الطرف^(٣)، ولا يمكن أن نسمي هذا حواراً بل نسميه اعتذاراً أو دفاعاً أو تبريراً ونحو ذلك^(٤).

أما الوسط: فهو يرى الحوار مع الغرب وله أهداف سامية معلومة، وضوابط شرعية معتبرة، يحافظ على الثوابت، ولا يقدم التنازلات، ولا يقف موقف الضعيف المنهزم، بل يقف موقف القوي المعتز بدينه والمتمسك بثوابته وقيمه، فهو يحاور بلا ضعف ولا عنف.

والنصوص الشرعية في الكتاب والسنة تؤيد هذا الرأي، يقول ابن تيمية: « فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابره لم يكن أعطى الإسلام حقّه ولا وقي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس،

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المغامرة، سعود المولى: ص (١٢٧-١٣٦).

(٢) وهو رأي د/ علي النملة انظر: الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها: ص (١٤٤).

(٣) انظر: نماذج من هذا الموقف الانهزامي الاعتذاري: نحن والغرب حوارات مع حمادي الصيد، وسهيل إدريس، والطاهر لبيب، وعبدالمجيد الشرفي، ومحمد الطالبي، إعداد: كلثوم السعفي، وانظر أيضاً: أو هام الإسلام السياسي، عبد الوهاب المؤدب: ص (٢٣١).

(٤) الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها، علي النملة: ص (١٤٤).

ولا أفاد كلامه العلم واليقين»^(١)، ومثله كلام الإمام ابن القيم عند ذكره للفوائد من قصة وفد نجران فقال: «ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجّة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجّة فليولّ ذلك إلى أهله وليخلّ بين المطي وحاديها والقوس وباريها»^(٢).

وسنأتي إلى ذكر أهم الأهداف المشروعة للحوار:

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى:

إن الحوار الحضاري مع الغرب يعد تطبيقاً لمبدأ جهاد الدعوة، وهو أحد أنواع الجهاد التي ذكرها النبي ﷺ: «جاهدوا المشركين بأيديكم وأستتكم وأموالكم».

فالحوار يندرج تحت الجهاد باللسان، وهو مجال عظيم، ومناخ مناسب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منه لتحقيق أحد فرائض دينهم، وهو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

والدعوة إلى الله وبيان محاسن هذا الدين وفضائله من أسمى أهداف الحوار وأجلها، وهي وظيفة الأنبياء والرسل جميعاً، والآيات الدالة على ذلك في كتاب الله تعالى كثيرة.

كما أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بدعوة أهل الكتاب ومحاورتهم، فقال ﷺ:

﴿قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد أرسل الرسول ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض - ومنهم أهل الكتاب -

(١) مجموع الفتاوى: (٢٠/١٦٤-١٦٥).

(٢) زاد المعاد: (٣/٦٣٩) بتحقيق الأرنؤوط.

تلبية لأمر الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام مثل رسالته ﷺ إلى هرقل وهي: « من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿يَا هَلْ أَلِكتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿[آل عمران: ٦٤]» رواه البخاري^(١).

ومن تأمل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد أن غايتها هذا الهدف السامي، ومن ذلك أنه سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة - وكان ذلك قبل الهجرة - وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام فجلسوا إليه وكلموه، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ﷻ وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره^(٢). وعندما أسلموا أنزل الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].^(٣)

وعندما هاجر الصحابة إلى الحبشة تحاوروا مع النجاشي، وقرأ جعفر بن أبي

(١) صحيح البخاري: (٦/١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (٢/٢٨-٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/٨٥).

طالب صدرًا من سورة مريم فأسلم النجاشي^(١) ومات على الإسلام سنة تسع، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب^(٢)، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه عبدالله بن سلام وحاوّر النبي ﷺ فأسلم ﷺ^(٣).

فهذا الهدف هو أسمى الأهداف وأعلاها؛ لأنه فيه تبليغ دعوة الله إلى الناس، وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والجهل^(٤).

« وقد وجه الله تعالى رسوله ﷺ وأمته جميعًا إلى مجادلة أهل الكتاب ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بأسلوب القصر الذي لا تحيير فيه، حين يتعلق الجدل (بأهل الكتاب) بالذات؛ لأن لديهم علمًا سابقًا قد يغرهم ويغريهم بالجدل، ولديهم تحريفًا هائلًا ورثوه عن أسلافهم قد يضلهم ويجعلهم يتصلبون على باطلهم، لذلك يحتاجون أكثر من المشركين إلى غاية الملاطفة والمحاسنة، حتى يسمعوا كلام الله وهديه في هدوء وروية، رجاء أن يهتدوا إلى الحق الذي يصدق ما معهم من الحق، ويصحح ما ورثوه من الباطل^(٥)، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولا يعني الأمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن، والموعظة الحسنة تقديم التنازلات، أو التفريط في اللين والتساهل في قبول الحق، أو المجاملة على حساب الحق، وقد يعد بعض المحاورين ذلك من الكياسة أو السياسة المقبولة دينًا، وهذا خطأ

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٢٩٠)، الشريعة للأجري: ص (٤٤٩-٤٥١).

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ٢٦٤)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (٧/ ١٩١).

(٣) صحيح البخاري: (٤/ ٢٦٨).

(٤) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتابو السنة، د/ خالد القاسم: ص (١١٣-١١٤).

انظر نماذج من حوارات النبي ﷺ في: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، د/ موسى الإبراهيم: ص (٢٥٥-٢٧٠).

(٥) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص (٨٨).

شديد؛ لأن هذه الأمور هي وسائل وأساليب لتوصيل الحق واضحاً إلى الناس، والحق ذاته ليس محلاً للجدل أو المساومات والتنازلات خاصة في الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك، والاستسلام لشريعة الله، لذلك يوصي الله تعالى باللين والحكمة والبصيرة، مع الثبات التام على حقائق الحق الذي علمنا إياه، ولذلك ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾؛ لأن مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لا ينبغي أن تنسينا أصل القضية في توحيد الله، وإسلام الوجوه والقلوب لله الواحد القهار، وأهل الكتاب قد حرفوا هذا الأصل تحريفاً هائلاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

ولذلك أيضاً ختمت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فهذا تنزيه لله تعالى عن الشرك والنقص، وإعلان واضح بأننا موحدون لا نقبل الشرك والشركاء، مع التزامنا التام بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وتمسكنا بأداب الحوار وأصوله^(١).

فالداعية المحاور يجادل بالتي هي أحسن، متمسكاً بثوابته وأصوله، واضعاً نصب عينيه الهدف الأسمى لهذا الحوار وهو هداية الخلق والحرص على اتباعهم الحق. وتتمة هذا الهدف في التالي:

ثانياً: بيان الباطل وزهقه:

وذلك لإقامة الحجة وإظهار الباطل على حقيقته، ولتستبين طرق الضلالة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥]، ولكي

(١) المصدر السابق: ص (٨٩-٩٠).

يختار كل واحد أحد الطريقتين عن بينة ووضوح، كما قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقد بين الله ﷺ أن كتمان الحق وتلبسه بالباطل هو شأن اليهود والنصارى، وقد نعى عليهم ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].^(١)

والآيات القرآنية في بيان باطل أهل الكتاب كثيرة جداً، وقد طبّق النبي ﷺ بسيرته العملية هذا المنهج الرباني، ومن أعظم ما ورد من هذه المحاورات مع تلك المحاورة الرائعة التي وقعت بين رسول الله ﷺ ووفد نصارى نجران، والتي أنزل الله في شأنها فوق ثمانية آيات من سورة آل عمران.

وهي قصة جديرة بالتأمل والدراسة^(٢)، لأنها مثال عملي تطبيقي يشتمل على جملة من القواعد، والأصول، والحكم، والمعاني، والمعاملات الحسنة، والصبر الجميل في الحوار والمناقشة. ومنها على سبيل الاختصار ما يلي:

١- أن النبي ﷺ حاور وجادل هذا الوفد طويلاً، مطبقاً معايير القرآن في ضبط الجدل بالأحسن، وغيره من الشروط.

٢- كان الحوار في أصل الأصول وهو التوحيد، وتأليه غير الله وقد حاورهم طويلاً، ورد أباطيلهم، ولم يساوم أو يتنازل عن شيء من الحق، وإذا جاز الحوار في هذا فكل ما عداه أهون منه؛ لأن الحوار هو طريق الفهم والبيان، وإقامة حجة الله تعالى على الناس.

٣- أن النبي ﷺ أنزلهم في مسجده، وتركهم وما يدينون فلم يكرههم على شيء، وبعد أن تصلبت عقولهم عن قبول البرهان والدليل دعاهم للمباهلة.

(١) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د/ يحيى زمزمي: ص (٤٥)، والحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، د/ خالد القاسم: ص (١١٤).

(٢) كتب د/ أحمد علي عجيبة، بحثاً مستقلاً بعنوان (نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة).

٤- بعد أن اتضحت الحقائق، وتقررت العقائد، وظهر الحق جلياً لم يمنعه ذلك من (التعايش) السلمي معهم على ما هم عليه، وقد قبلهم في دولته، وعقد معهم صلحاً على غاية العدل والفضل، راعي فيه حقوقهم وحقوق المسلمين، وهذا هو الأساس في قبول غير المسلمين في دولة الإسلام، وعدم انتقاص حقوقهم بسبب الخلاف في الدين، مع تجلية العقائد وأحكام الدين، وعدم المداهنة فيها، أو تمييع حقائقها.

٥- من هذا وأمثاله كثير يتقرر أن الحوار الواسع، ثم التعاون حتى بعد الاختلاف، وهو عندنا -نحن المسلمون- ليس قضية سياسية تخضع للتقلبات، وإنما هو دين ملتزم، مقرر بنصوص القرآن، وعمل الرسول، وأن الأمة الإسلامية مكلفة به، ملتزمة تطبيقه في كل العصور ضرورة أنه وسيلتها العظمى في الدعوة والإبلاغ.^(١)

ثالثاً: رد الشبهات وكشف زيفها، وتحسين الآخرين من الوقوع فيها:

لأن الشبهة إذا استقرت في قلب صاحبها منعت من قبول الحق والإذعان له.

وقد اعتنى القرآن بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين، وردّ عليها بأوضح برهان، وهذا من الحكم في إنزال القرآن مفرقاً، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [٣٣] وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

قال ابن كثير: « ولا يأتونك بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهن، قال ابن عباس: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول »^(٢).

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٩٥-٩٦).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب، د/ خالد القاسم: ص(١١٦).

والشواهد في كتاب الله تعالى على إيراد الشبهة والجواب عنها كثيرة جداً.

« ومن شبههم التي ردّ عليها القرآن إنكارهم للرسالة بحجة أن محمداً ﷺ يمشي في الأسواق ويأكل الطعام كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]، فردّ الله عليهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ .. ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ومن ذلك محاجة موسى وفرعون، فكان فرعون يطعن في رسالة موسى، وكان موسى عليه السلام يرد على شبهة فرعون، ومن ذلك ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الأنبياء: ١١]، ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١-١٠٢]، وفي الردّ على الشبه إسكات للطاعنين، وبيان للحائرين.

ولكن يشترط على من تولّى الرد على شبهة أهل الكتاب إحكام الرد لئلا يقرر الشبه ويعجز عن الرد، وذكر ابن تيمية: أن بعض الذين قرروا دلائل النبوة قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً، وأجابوا عنها بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين، وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يلزلها بها، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها^(١) «^(٢).

وقد يضطر المحاور المسلم للخوض في رد شبهات يطرحها عليه المعارض، لا يرتجي من ورائها كبير فائدة سوى تحصين السامعين والمشاهدين من تلقف هذه الشبهات، وربما كانوا أعداداً غفيرة حول العالم كما يحصل في بعض المناظرات

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية: (٧٧-٧٦/١).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه، د/ خالد القاسم: ص(١١٦).

٣- صياغة عدّة مشاريع بحثية حول « حوار الحضارات » يشارك فيها باحثين من المسلمين والأوروبيين المنصفين الباحثين عن الحق، لا الكائدين المغرضين.

٤- عقد ندوات ومؤتمرات دولية حول هذه الموضوعات المتعلقة بالإسلام والغرب وتكون المشاركة فيها من الطرفين، ويتم نشر- هذه البحوث بعدة لغات وعبر القنوات الإعلامية.

٥- الردّ على المستشرقين وعلوم الأنثروبولوجيا الثقافية وعلوم الإنسان، والكشف عن منشأ هذه الصورة الظالمة للإسلام والتي أصبحت أحكاماً شائعة عند الناس.

٦- تكثيف وزيادة المواقع على الإنترنت، والتي تعرض الصورة الصحيحة المشرقة عن الإسلام، بعدة لغات عالمية.

ولا شك أن للحوار الهادف دوره البارز عبر هذه الوسائل لإظهار الصورة الحقيقية للإسلام دين الله وشريعته الخاتمة، ويأتي هدف إظهار سماحة الإسلام هدفاً سامياً من أهداف الحوار، وهذا سيتضح بإذن الله تعالى في الهدف التالي.

خامساً: إظهار وبيان سماحة الإسلام:

من أهم أهداف الحوار: الكشف عن سماحة الإسلام، وإظهار عظمة هذا الدين الرباني، ولو عرف الغربيون ما في هذا الدين من سماحة واحترام لحقوق الإنسان، لدخلوا في دين الله أفواجا، ولكن الحقيقة مغيبة عنهم.

إن الإسلام رغم كونه دين الله حقاً، وقد قامت على صحته وسلامته من العوج البراهين العقلية والعقلية، إلا أنه لا يريد أن يفرض نفسه بالقوة والإكراه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ

بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

والآيتان تقرران بصراحة تامة أن دين الله هو الحق المتفرد، ومع ذلك لا يجوز إرغام أحد على دخوله، وعلى كل عاقل أن يختار، ثم يتحمل مسؤولية اختياره في الحالين، شريطة ألا يجاد الحق أو يعاديه باللسان أو باليد.

ويقول تعالى مخاطباً رسوله وأمة من بعده حاكمين ومحكومين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

ولذلك عاش في ظل دولة الإسلام العالمية كل الأجناس بأديانهم ومذاهبهم، وعاش مع أمته اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم قروناً متطاولة، لا يرغمون على ترك دينهم أو عوائدهم رغم تفرد المسلمين -يومئذ- بالسلطان والسيادة العالمية، بل حفظت لهم دماؤهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأديانهم بأمر الله ﷻ، لا من باب المناورات السياسية، أو المصالح الوقتية.. إلخ.

ودليل ذلك: أن الله تعالى قد أكد الوصية بالتزام الحوار، والدعوة، والبلاغ والبيان، الذي يتم به التعليم والتفهم، حتى بعد فرض (الجهاد)، وبعد أن أصبح للإسلام قوة حربية مؤثرة، لما يعلمه ﷺ من أن الحوار هو مدخل الإيذان، لذلك فتأثيره أبقي وأقوى، بل إن القوة الحربية نفسها هي لتوفير الأمان للناس ليتحاوروا بلا إكراه، لذلك ظل القرآن الكريم بعد فرض (الجهاد) يتنزل بالدعوة والبلاغ، والحوار والبيان، خاصة مع (أهل الكتاب) السابقين.

وقد تقدم كيف حاورهم الرسول ﷺ، حتى في التوحيد الذي هو أصل الأصول الدينية، بعد فرض الجهاد، وقد قال تعالى خطاباً لنبيه ﷺ في هذه المرحلة:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلِ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ...﴾ [آل عمران: ٢٠].

أي فالواجب عليك -إن عصوك- البلاغ، وليس الحرب؛ لأن مجالها هو ردّ

العدوان، وليس فرض الإيمان.^(١)

ولا بد من الإشارة إلى تنبيه هام، فالبعض حين يجاور الغرب عن سماحة الإسلام يقدم التنازلات عن بعض الثوابت والمسلمات، كالجهاد، والحدود، وغيرهما من القضايا التي تعاني من هجوم صارخ من منظمات وهيئات وأفراد.

فلا تعارض في الحوار لإظهار سماحة الإسلام، والتمسك بهذه الثوابت التي إنما فرضت لترسخ سماحة الإسلام وحرصه على الأمن الشامل في كل مفهوماته.^(٢)

سادساً: المعذرة إلى الله في أداء الأمانة والشهادة على الناس:

إنّ المؤمن الصادق يعمل في الدعوة إلى الله راجياً الثواب من الله لا يريد من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً، ولا يضره ألا يجد لعمله ودعوته أثراً في الحياة الدنيا، بل يكل أمر النتائج إلى الله تعالى، ومن هنا فالداعية يدعو ويجاور لأنه يؤدي واجباً يعذر بأدائه أمام الله رب العالمين، ولو لم يؤده كان محاسباً بين يدي الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

ويقول الرسول ﷺ: « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين »^(٣).

وهذا يتميز سلوك المسلم الحضاري، الذي يحرص على هداية الناس لا طلباً لربح مادي أو مصلحة شخصية، ولا يدور في فلك عصبية ولا قومية ولا حزبية، وإنما هو صاحب مبدأ وفكر ورسالة^(٤).

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(١١٢).

(٢) انظر: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، أ.د/ علي النملة: ص(١٥٢-١٥٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، د/ موسى الإبراهيم: ص(٢١٤-

وهي رسالة هذه الأمة الوسط التي أشهداها الله تعالى على الناس، والتي زكاها الله تعالى فريت على أصدق العقائد، وأرقى الأخلاق والآداب والفضائل، وهي - بهذه المواصفات التي استخلفت في الأرض مكان العصاة البغاة من بني إسرائيل، أو عبدة المسيح^(١).

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾ [البقرة: ١٤٣].

« وإذا كان تعبير الشهادة على الناس تعبيراً غنياً جداً بجملة من المعاني، فإن المعنى المباشر الأبرز من بين تلك المعاني هو معنى البيان الذي يتجه به المسلمون إلى سائر الناس على سبيل التبليغ لما يتضمنه دينهم من قيم روحية ومادية »^(٢).

سابعاً: إقامة العدل ودفع الظلم:

إن العدل في الإسلام عماد الخير والصلاح، وعماد النظام وتمام الملك والسلطان، وهو الأساس الذي أقام الله عليه الكون، ليس الإنسان مع الإنسان فقط، وإنما الإنسان مع ربه ونفسه وأمتة ومع البشر جميعاً، بل مع ما في الكون من نبات وحيوان وجاد، وكثيراً ما حكى علينا الله في القرآن مصير الأمم التي حرمت من إدراك العدل ونفسي فيها الظلم حتى أدركها الفناء والهلاك.

وإن من أعظم أهداف الحوار تحقيق العدل ورفع الظلم، فلا يمكن للبشر- وللعالم أن ينعم بالأمن والاستقرار مع غياب العدل.

وما نجده اليوم في العالم من سفك للدماء وانتهاك للأعراض والأموال إنما هو ناتج عن عدم العدل، وللأسف أكثر من يصطلي بالدمار والقتل هم المسلمون، وما

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٨٠).

(٢) الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، أ.د/ عبدالمجيد النجار: ص(١٠٤).

وانظر للتوسع: مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية، د/ عبدالمجيد النجار.

يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان المسلمين لا يخفى على ذي بصيرة وعقل.

وإن هذه الأحداث لتولد في نفوس المسلمين الكراهية والبغضاء نحو الغرب، لأنه يقف وراء هذا الظلم، والغريب حين يتغابى بعض مفكري أمريكا فيتسائلون لماذا يكرهونا؟!

ومن مظاهر العدل في الإسلام: أن الله تعالى يأمرنا بأن لا نحكم على أهل الكتاب بحكم واحد، بل نفرق بين الظالم والمكابر والمعاند، وبين المنصف والعاقل وأصحاب المروءة والحريص على الوفاء بالوعد وأداء الأمانة، فلا ينبغي أن تصدر حكماً عاماً يشمل الظالم والعاقل، والمنصف وصاحب الهوى.

قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥].

ولهذا من أهم ما يتحاور فيه مع المنصفين من الغرب هو رفع الظلم عن إخواننا المظلومين في شتى بقاع الأرض، وبحث كافة السبل والآليات لمساعدتهم في استعادة حقوقهم.

« ولقد نص إعلان حقوق الإنسان على أن من حق الإنسان مقاومة الظلم، لكنه لم يرسم لذلك نظرية ولا وضع له الخطوط والآليات، كما أنه يجعل ذلك مجرد حق، بينما يرتفع به الإسلام إلى مستوى الوجوب »^(١).

(١) مقومات النظام السياسي الإسلامي وصياغة علاقته مع الآخر، أ.د/ أحمد عامر: ص(٧٧).

ثامناً: الفهم المتبادل بين الإسلام والغرب:

العيش على رقعة واحدة يفرض التضامن من أجل تحقيق سعادة الإنسانية جمعاء، ومبنى هذا الأمر على فهم الآخرين على ما هم عليه في حقيقة الأمر، وهذا من معاني الشهادة على الناس، فالشاهد لا بد أن يكون عارفاً بحال المشهود عليهم ليستعين بذلك على تبليغهم.

وتأسيس الفهم المتبادل موضوعياً يستدعي القراءة المتأنية لمنتج المخالف وفق ما هو عليه في مصادره ووفق آليات الفهم والتبليغ التي يتبناها، وتحقيق هذا الغرض يفرض تجاوز مجموعة من المعوقات، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١- قراءة المخالف من خلال مصادره، وبهذا نقطع الطريق على الوساطة في التبليغ، ونمنع التوظيف السياسي والإيديولوجي للأفكار من قبل الأفاكين والمعاندين لهذه الفكرة أو تلك، فقد كان الوسطاء -بجميع أصنافهم- وما زالوا سبباً في منع الفهم المتبادل بغرض التسييس وتذكية الصراع، وقد تبنى هذا المسلك بعض كبار المثقفين المندرجين في إطار رؤية كونية خاصة، تعمل على توظيف الأفكار توظيفاً اقتصادياً وحضارياً يناقض طبيعة البشرية والحضارات الإنسانية، ويعرضها إلى التفتت والتشردم بسبب تأسيسها النظري للتناحر كمنخرج مهم للأزمة الحضارية الراهنة، وقد يتلبس الصراع بأسماء مختلفة، كنهاية التاريخ، كأنه يمثل منتهى الخبرة الإنسانية في عالم الأفكار، فلا مزيد عما جادت به قرائحهم، وبالتالي يجب التوقف عن التفكير في مصير الإنسانية.

فهل في عالم الأفكار رجعية كهذه؟ وهل في عالم الحضارة جبرية أسوأ منها؟

٢- بناء القراءة على ما يتبناه السواد الأعظم من المجموعة المدروسة، وبذلك نقطع الطريق على المتصيدين للتشويه من أقوال القلة القليلة، أي الابتعاد عن التأصيل لفكرة بما نقل عن المجموعات الفرعية الشاذة منها، إذ القاعدة في الفكر الإنساني أن الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، قال أحد أسلافنا « القاعدة

الكلية لا تقدر فيها قضايا الأعيان ونوادير التخلف»^(١).

٣- أن تكون المقارنة بين القضايا المتجانسة، فلا يجوز موضوعياً أن نقارن أصلاً في مجموعة حضارية بفرع عند مجموعة حضارية أخرى، ذلك أن الموضوعية تفرض أن يقابل الأصل بالأصل والفرع بالفرع، والنظري بالنظري والعملي بالعملي، وهكذا دواليك في سائر مضامين أفكار المتحاورين، ويسجل بهذا الصدد -للأسف- التعدي على هذه القاعدة بشهادة العقلاء قاطبة، وخاصة حين تعلقه بقضايا المستضعفين على تنوع انتماءاتهم الحضارية والثقافية.

٤- أن تكون القضايا المتحاور حولها متجانسة من حيث الطبيعة، فلا يقارن أمر نظري بآخر عملي أو العكس، إذ يتضمن تبني هذا المسلك مؤشرات الإقصاء والمكابرة من جهة، والقصد في التلبس بالنظر إلى المآل أو الحال من جهة أخرى.

فإذا تيسرت هذه الظروف أمكن بعدها الحديث عن الحوار الموضوعي الذي يتوخى منه أصحابه الفهم المتبادل، فكلما تحقق الفهم المتبادل المعترف به من قبل أطراف الحوار أمكن صناعة جو إنساني مستعد للتفاهم.^(٢)

تاسعاً: التعاون لتحقيق مصالح مشتركة، والدفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة:

إذا تحقق التفاهم المتبادل بين أطراف الحوار، أمكن حينئذٍ التعاون لتحقيق المصالح والمنافع المشتركة للجميع.

ولقد نفذ الرسول ﷺ مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفاً أساسه التعاون على البرّ، وحماية الفضيلة ومنع الأذى، وأكد ذلك بالمواثيق، ولكن اليهود نقضوا حلف التعاون، ودبروا الأمر على المشركين ضد النبي ﷺ، وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداء وإقامة الحق، أو بعبارة عامة ما يسمى في هذا العصر بـ«التعايش السلمي».

(١) الموافقات للشاطبي: (١/٢٥١)، وانظر أيضاً: (٢/٦٣-٦٤).

(٢) حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، أ.د/ عمار جيدل: ص (٥٠-٥١).

وكان النبي ﷺ يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون إنساني لإعلاء المعاني الإنسانية، وكان يحث على كل تعاون على الخير ويؤيده، ويرد على كل تعاون على الشر ويحاربه، وقد كان ﷺ من مبادئه التعاون على نصرته الضعيف، وقد حضر - وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره حلفاً لبعض أشرف قريش عقد في دار عبدالله بن جدعان تعاقدوا فيه لينصرون الضعيف على القوي، فسرّ - ﷺ لذلك سروراً ظهرت آثاره من بعد، فقد قال الهادي الأمين:

« لقد حضرت بدار عبدالله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت ».

ويؤكد الشيخ بهجة البيطار الدمشقي - رحمه الله - على ضرورة التعاون فيقول:

« كنت أدعو إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين ... لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهتدة بالفناء بما أحدثت المدنية المادية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرهما، وإن الحرب إذا وقعت - لا قدر الله - يكون وقودها هذا العالم المعذب، وتكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا، وإن أول عمل يدعوننا إليه الواجب الإنساني الخالص، هو نصرته الضعفاء والمظلومين في الأرض، وهذا لا يتم إلا بالتضامن والتعاون بين أهل الملل السماوية »^(١).

نعم إن هناك تحديات ومخاطر تهدد الجميع، كالإباحية والفساد الخلقي، والذي أدى إلى انتشار أمراض جنسية فتاكة كالإيدز وغيره من الأمراض القاتلة.

كما أن هناك تحديات تواجه كيان الأسرة وتماسكها، وكذلك المخدرات بكل أنواعها تفتك بالشباب في شتى البقاع فأين ندوات الحوار مع الغرب حول هذه القضايا التي تشكل خطراً على جميع الدول.

إن هناك موضوعات أخرى جديرة بالحوار مثل الحفاظ على البيئة، ومكافحة البطالة، والفقر، والجهل، والفتن الطائفية، وحروب الإبادة، والتطهير العرقي،

(١) انظر: الإنجيل والقرآن في كفي الميزان، بهجت البيطار: ص (٢٣).

كما يستهدف المحاور المسلم تحييد خصمه إذا لم يتمكن من كسبه، وهذا بلا شك من المكاسب الكبيرة، فإن من لم يستطع كسبه ليكون عوناً على الخير، فلا أقل من إخماد شره وكفّ أذاه وفساده^(١).

(١) انظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه، د/ خالد القاسم: ص(١١٧).

محاذاير الحوار مع الغرب

تمهيد:

إن المسلم المحاور الحصيف لا يمكن أن يخاف من الحوار، ما دام متحلياً بمواصفات المحاور ومحققاً لشروط الحوار وضوابطه وآدابه، والمقصود أننا لا نخشى من الحوار؛ لأن لدينا الشريعة الخاتمة الصالحة لكل زمان ومكان، والحضارة التي جربتها البشرية عبر قرون عديدة، فوجدتها شريعة العدل والإحسان، فليس في ديننا ما نخشى عليه من الحوار، إنما الخوف من الأخطاء التي يقع فيها المحاورين باسم الإسلام فليس الخطأ في الحوار، إنما الخطأ في المتحاورين الذين وقعوا في هذه المحاذير بعلم بعلم أو بجهل، فحمّلوا الإسلام ما لا يحتمل، فلا هم للإسلام نصر-وا ولا لشبهات الغرب كسروا، ولا على تساؤلاته ردوا! فلأنفسهم خذلوا.

أما الإسلام فهو عزيز بعزة الله، وحفظه؛ لأنه دينه الذي ارتضاه، فلا يتطرق إليه الضعف ولا الخوف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وسأذكر فيما يلي أهم هذه المحاذير التي ينبغي على من يدخل في الحوار الحذر من الوقوع فيها:

أولاً: الولاء للغرب وعدم البراءة من الكفر:

إن معتقد الولاء والبراء من العقائد اليقينية، التي دلت عليها النصوص المستفيضة القطعية في الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة.

كما أن هذا المعتقد مرتبط بأصل الإيمان، فلا إيمان بتاتاً بغير "ولاء" ولا "براء"، ولا يمكن أن يوجد إسلام أو مسلمون بغيرهما.

فالولاء والبراء في معتقد أهل الإسلام هو حب الله تعالى، ورسوله ﷺ، ودينه، والمسلمين، ونصرتهم، وبغض الطواغيت التي تُعبد من دون الله، والكفر، والكافرين، وعداوتهم^(١).

(١) أقوال السلف في بيان أهمية الولاء والبراء كثيرة معلومة، وقد ألفت رسائل علمية منها: الولاء

ومن أخطر المخاذه التي وقع فيها من يدعو للحوار مع الغرب: الوقوع في الولاء مع من يحاورهم، والتعبير بالحب والودّ لهم، يقول الشيخ أحمد كفتارو: « ليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً »^(١).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: « إن المودّة ليست واجبة بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة، بل هي واجبة للمخالفين في الدين، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم ... وإذا كانت المودّة هي الرابطة التي تربط بين الإنسان، بحكم الإسلام وسائر الأديان، فإن الرحمة تنبعث منها »^(٢).

ووجه الوقوع في هذا المحذور هو عدم الجمع بين النصوص الشرعية التي تأمر بالبر والقسط والإحسان إلى أهل الكتاب، والسماحة معهم، وبين النصوص الشرعية الأخرى التي تأمر بالبراءة من الكافرين وعدم مودتهم.

إذ لا تعارض بينهما، فطالما أن الولاء والبراء من أسس الإسلام العظام، فلا بد أن تصطبغ بصبغة الإسلام الكبرى، وهي الوسطية والسماحة والرحمة، فمع أمر الله تعالى بعدم مودّة الكافرين جاءت النصوص الشرعية تأمر بما يلي:

- ١- لا يجبر أحد من الكفار الأصليين على الدخول في الإسلام.
- ٢- حفظ العهد الذي بيننا وبينهم، إذا وفّوا بعهدهم وذمتهم.
- ٣- أن لأهل الذمة التنقل في أي البلاد شاءوا، إلا الحرم، ولهم سكنى أي بلد شاءوا من بلاد الإسلام أو غيرها، حاشا جزيرة العرب.



والبراءة في الإسلام: د/ محمد سعيد القحطاني، والموالة والمعادة في الشريعة الإسلامية: محاسن بن جلعود، ومن الأبحاث الرصينة والتي خرجت مؤخرًا بحث (الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة) د/ حاتم بن عارف الشريف.

(١) الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق: (١/٥٢٩) نقلًا عن: دعوة التقارب بين الأديان، د/ أحمد القاضي: (٤/١٤٤٦).

(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة: ص(٥١).



- ٤- حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين، إذا وفوا بعهدهم وذمتهم.
- ٥- الوصية بأهل الذمة، وصيانة أعراضهم وذمتهم، وحفظ كرامتهم.
- ٦- أن اختلاف الدين لا يلغي حق ذوي القربى.
- ٧- أن البر والإحسان حق لكل من لم يقاتل المسلمين أو يظاهر على قتالهم.^(١)
- كل هذا يبين مدى سماحة الإسلام مع المخالفين في الدين، لكن لا يعني هذا موادتهم ومحبتهم لكفرهم.
- يقول سيد قطب: «إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنها يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته»^(٢).
- ولهذا لا بدّ لمن يدخل في هذه الحوارات أن يتمثل بوسطية الإسلام^(٣) دون إفراط أو تفريط، حتى يؤتى هذا الحوار ثماره التي تعود على الإسلام والمسلمين بالعزيز والتمكين.

ثانياً: الحذر من الوقوع في "دعوة التقريب بين الأديان":

فلقد دلّت النصوص الشرعية القاطعة على بطلان «دعوة التقريب بين الأديان»؛ لأن دين الله واحد هو الإسلام الذي ابتعث الله به محمداً ﷺ، وما سواه إما باطل أو منسوخ. فمن رام التقريب بينه وبين غيره، فقد رغب عن ملة إبراهيم، وابتغى ديناً غير دين الإسلام، وطعن في صدق محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنكر هيمنة القرآن على الكتب السابقة، ونسخه لأحكامها، وخالف إجماع المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين

(١) انظر للتوسع في ذلك: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، د/ حاتم الشريف.

(٢) في ظلال القرآن: (٢/٩٠٩).

(٣) انظر في بيان شيء من هذه الوسطية: الوسطية مرتكز راشد لحوار الثقافات، أ.د/ حامد بن أحمد الرفاعي: ص(٢٧) وما بعدها.

من الصحابة والتابعين، ووالى أعداء الدين، واتبع أهواءهم، وسقط في الفتنة عن بعض ما أنزل الله، وداهن في دين الله، ولبس الحق بالباطل، ووقع في الصدّ عن سبيل الله. وكلها لوازم لا محيد لدعاة التقريب عنها. وفسادها معلوم من الدين بالضرورة. وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وبطلان الفرع يعود على الأصل بالإبطال.

وقد دلّ الواقع العملي المشاهد خلال دعوة التقريب بين الأديان في العقود الأربعة المنصرمة على ظهور بعض النتائج والآثار الملموسة، الناجمة عن تجربة التقريب، كالتسوية بين كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن، والكتب المحرفة المنسوبة إلى أنبياء الله، التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، ووصفها جميعاً بـ«مقدسة» و«سماوية» و«كلام الله». وكذلك التسوية بين بيوت الذكر والرحمة؛ المساجد، وبيوت العذاب والشرك، من معابد اليهود والنصارى والمشرّكين، ومشاركتهم في صلواتهم، واحتفالاتهم الدينية والفكرية، وإقامة المؤسسات البحثية المشتركة بين الأديان، بغرض تنقية المناهج الدراسية، والوسائل الإعلامية من النقد المتبادل، ورفع الأحكام العقديّة والشرعية في شأن أهل الكتاب، واستتلال اعترافات صريحة وضمنية من نظرائهم المسلمين على صحة دينهم وكتبهم، وإعادة عرض الإسلام بصورة مشوهة خداج، كالتصوف الباطني. ومع ذلك كله، لم يجد النصارى قيد أنملة عن معتقداتهم، فلم ينتهوا عن قولهم «ثلاثة»، ولا عن غلوهم في الدين، وأصرّوا على إنكار نبوة محمد ﷺ، وعلى المضيّ في تضليل الخلق بما يسمونه «التبشير»، مستغلين الفاقة المعيشية، والصحية، والأمنية، لكثير من شعوب العالم الثالث -وغالبيتهم مسلمون- ولتحقيق مكاسب جديدة، ومواطئ أقدام لمنصر-يهم، وإقامة كنائسهم، تحت شعار التقارب والحوار والتسامح. وفي الوقت ذاته لا يكفون عن موالاة بعضهم بعضاً وموالاة اليهود والمشرّكين على الظلم والعدوان ضد المسلمين، وإحياء مطاعمهم القديمة في القدس. وكل هذه الآثار والنتائج الواقعية، تمار فجة لدعوة التقريب، شواهدا ماثلة لا يمكن إنكارها. ^(١)

(١) دعوة التقريب بين الأديان، د/ أحمد القاضي: (٤/ ١٦٣٦-١٦٣٨)، وانظر: فتوى اللجنة الدائمة

ثالثاً: استعلاء المحاور الغربي وشعوره بالفوقية وشعور المحاور المسلم بالدونية:

إنَّ التفوق التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي للغرب جعله يبدو أكثر تقدماً وتحضراً على معظم شعوب العالم الإسلامي، بيد أن التقدم الفكري والحضاري حقاً هو للإسلام عقيدة وشريعة، ولو تمسك المسلمون بهدي دينهم لمكّن الله لهم في الأرض ونصرهم نصراً مبيناً.

هذا التقدم التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي جعل بعض المحاورين الغربيين يتحدث ويحاور بمنطق القوة والإملاء والوصاية، بينما كان موقف بعض المحاورين المسلمين، ضعيفاً ودونياً.

ولا شك أن المحاور المسلم، ينبغي أن يكون معتزاً بدينه وحضارته، ولا يقف موقف الهوان كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

والعلو هنا مرتبط بالإيمان، لا العلو المرتبط بالخطرسة والعرقية والعنصرية، بل العالي هنا هو المؤمن أين يكون، وكيف يكون، ومتى يكون، وإذا تحقق الإيمان الصادق لدى المحاور تحقق لديه العلو الذي يفرض نفسه على الآخرين^(١).

إن وجود التكافؤ بين الطرفين من أهم عوامل نجاح الحوار، فإذا كان أحد طرفي الحوار يميل على الآخر الشروط والمطالب والآخر يستمع، فلا شك أن هذا ليس حواراً، بل استسلام وانبطاح، وذلة وهوان، وحينئذ يكون هذا الحوار محذوراً، لأن الذي يمثل الإسلام فيه غير مؤهل لأن يتكلم باسم الإسلام، حيث إنه غير مقتنع بالإسلام منهجاً للحياة، أو أنه ليس لديه التصور والعلم بشرائع الإسلام وعقائده، فيقنع به الآخرين، ويرد على إشكالاتهم والشبهات التي ترد عليه، فهو كالذي يخوض

==

للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥ / ١ / ١٤١٨ هـ،

وتنص على تحريم الدخول في مؤتمرات "وحدة الأديان".

(١) انظر: الحوار في القرآن الكريم، محمد كمال المويل: ص (٢٥٦).

في يمّ لا يحسن السباحة فيه !

ومن المظاهر الجلية مؤخرًا في شعور الغرب بالفوقية والاستعلاء، هو ذلك الخطاب الذي كتبه ستون من كبار المثقفين الأمريكيين، حيث أصدروا في فبراير ٢٠٠٢م على إثر أحداث (١١ سبتمبر) بيانهم المشهور تحت عنوان: « لماذا نخوض الحرب؟ » وهو عبارة عن رسالة موجهة إلى المسلمين خاصة، ادّعوا فيه أن القيم الأمريكية أفضل القيم وأحقها بالكونية^(١) !!

رابعاً: تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات:

إذا كان المحاور الذي يتحدث باسم الإسلام ضعيفاً منهزماً، أو غير مؤهل للحوار، فإنه لا يستغرب منه أن يقدم التنازلات، وسأجمل فيما يلي أبرزها:

١ - التنازل عن شيء من الدين أو أخذ شيء من دينهم لإتمام ديننا. يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته بعنوان "نظرية الوحدة":

« وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكملة الثاني !! .. وعلى هذا لاح لي بارق كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتّحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها »^(٢).

وقد ظهر هذا بشكل واضح في مؤتمر الحوار ببلنجان عام ١٩٧٠م إذ كتب مسيحي في التقارير في نهاية الحوار:

« وفي الحوار يكتشف الشخص المنتمي إلى عقيدة معينة وعلى الرغم من التزامه الديني أنه في احتياج إلى بعض النقاط التي تؤكد عليها بالأكثر عقيدة أخرى -

(١) انظر: تحليلاً نقدياً لهذا الخطاب في: « الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري » طه عبدالرحمن، الفصل الثالث منه بعنوان: « تفضيل القيم الأمريكية » : ص (٩٩-١٢٥).

ومن الأجوبة السديدة والحكيمة: جواب د/ سفر الحوالي منشور على موقعه على الإنترنت.

(٢) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي: ص (٢٤٧).

وأوضح مسلم بعد ذلك - إن الإسلام وقد بدأ تاريخه من مركز قوة وانتصار يحتاج اليوم إلى الفكرة المسيحية عن الألم الذي هو طريق الانتصار»^(١).

٢ - ومن التنازلات مشاركتهم فيما هم فيه من العبادات، وهذا ليس أمراً جديداً، فقد عرض هذا النوع على النبي ﷺ كما روى ابن إسحاق أن الأسود بن عبدالمطلب والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي - وكانوا ذوي أسنان في قومهم - اعترضوا رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ۙ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۙ﴾ [الكافرون: ١-٦].^(٢)

وفي مؤتمر الحوار الذي عقد ببلبنان عام ١٩٧٠م وحضره ثلاثة من الهندوس وأربعة بوذيين وثلاثة مسلمين وثمانية وعشرون مسيحيًا، كانت هناك فترات للعبادة المشتركة بقيادة واحد من الحاضرين.^(٣)

٣ - المداهنة في دين الله، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه فقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، قال ابن جرير الطبري: «معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد، لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك»^(٤).

ومن صور هذه المداهنة إقرارهم على دينهم وتصحيحه لهم، أو مدحه باعتباره ديناً صحيحاً، أو مساواته بالإسلام.

(١) الحوار بين الأديان، سليمان وليم: ص(٥٣-٥٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (١٠/٢).

(٣) الحوار بين الأديان، سليمان وليم: ص(٤٩).

(٤) جامع البيان، للطبري: (٢٩/٢١-٢٢).

ومن هذه النماذج للمداهنة قول الشيخ محمد كفتارو: « ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس »^(١).

ولكفتارو قول آخر ظاهر في المداهنة حيث يقول: « قال لي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ القرآن كل يوم. فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل »^(٢).

٤ - تعديل وتعديل مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، وحذف آيات الجهاد والولاء والبراء وأمثالها من المقررات الدراسية، في محاولة شرسة لإخراج أجيال مبتوتة الصلة بدينها وتاريخها، وتذوب في ثقافتهم الفاسدة.

بل قد بلغ بهم الحقد على هذا الدين في محاولات عديدة لتغيير الإسلام ذاته، وتحريف أصوله ومصادره من القرآن الكريم والسنة النبوية، ليتلاءم مع أهوائهم ورغباتهم، وما قصة القرآن الذي زعموه وافتروه وأسموه زوراً وبهتاناً «الفرقان» عنا ببعيد، ولا تزال حملاتهم لتبديل الإسلام مستمرة^(٣).

جامساً: عدم الجهر بالحق وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام:

إن الحوار الموضوعي والحضاري ينبغي أن يجهر فيه بالحق، وأن لا يؤدي إلى المداهنة والدبلوماسية التي تغطي على الحقائق وعلى الخلافات، وتعمل على ترميمها ظاهرياً، وتلفيق اتفاق زائف^(٤)، وقد ذم الله تعالى من يعمل على كتمان حقائق الدين

(١) سلام للبشر، كفتارو: ص(٥٨) نقلاً عن دعوة التقريب بين الأديان: (٤/١٤٥٦).

(٢) المصدر السابق: (٤/١٤٥٧).

(٣) كتب الكثير عن حملات أعداء الإسلام لتبديله، ومن هذه الأبحاث الرصينة الجادة: « الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات المعاصرة » أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٤٩) وما بعدها.

(٤) انظر: الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أ.د/ أحمد سيف الدين تركستاني: ص(٢٧).

فقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

إن من الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض المحاورين باسم الإسلام هو التنصل والانسحاب من بعض حقائق هذا الدين العظيم مثل الجهاد، وعقيدة الولاء والبراء، وتشريع الحدود، وقوامة المرأة ونحو ذلك من الموضوعات التي يستشكّلها الغرب.

فالاعتذار عن هذه المسلمات مزلق عقدي خطير على عقيدة هذه المحاور، لأنها مما يُعلم من دين الإسلام باضطرار وفي تشريعها رحمة للعالمين لأنها جاءت من لدن أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين.

سادساً: حصر الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى:

من مخاذير الحوار مع الغرب أن نوجه كل طاقاتنا وإمكاناتنا للحوار مع الغرب، من أجل رد الهجمة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين التي يقودها الغرب الآن، وننسى شعوباً ودولاً أخرى نحن مكلفون بإقامة الحجة عليها، وإبلاغها بمحاسن هذا الدين، كما أن بعض هذه الشعوب مرشح للتفوق المادي في المستقبل القريب مثل: الصين وكوريا واليابان والنمور الآسيوية، ودول أمريكا اللاتينية.

من الواجب ألا يشغلنا ردّ الفعل عن التفكير الاستراتيجي الأكثر اتساعاً، فالعالم اليوم ليس قاصراً على الغرب، والأيام دول، كما يجب أن نتوجه بخطابنا إلى الشعوب الأخرى التي لم تأخذ حقها في الحوار معنا وسمع صوتنا، وذلك تحقيقاً لعالمية الإسلام من جهة، ولمصالح مجتمعاتنا المسلمة من جهة أخرى^(١).

(١) انظر: تصحيح صورة الإسلام في الغرب، أ.د/ نبيل السالموطي: ص (١١٢).

الخاتمة

الإسلام دين الحوار، ولكنه حوار بلا «عنف» ولا «ضعف»، حوار وسطي لا إفراط ولا تفريط، حوار بلا «عنف» يوغر الصدر، ويصد الخصم عن الفهم، وينفر العقلاء عن الاستجابة.

وكذلك بلا «ضعف» من المسلم، يؤدي إلى التنازلات عن المسلمات أو إقرار الأخطاء، أو انتقاص الحقائق، أو محاولة الوصول مع الخصم إلى أنصاف الحلول فيما لا يقبل التجزئة، لأنه خداع وكذب من جانب، وإضرار بالخصم نفسه حينما تقدم له الحقيقة ناقصة مبتورة لرغبة أو لرهبة.

إنّ الغرب اليوم أحوج ما يكون لبيان حقائق الإسلام ومحاسنه العظام، فلقد أرهق نفسه روحياً بهذا الدين المحرف والمبدّل والذي لم يشبع خوائه الروحي، ولم تفلح تلك المناهج العلمانية والمذاهب الفكرية المادية في سدّ هذا الرمق، فهو بحاجة إلى من يلقي إليه طوق النجاة لكيلا يغرق.

ومن واجبات ديننا العظيم إنقاذ هؤلاء الغرقى، فيأتي الحوار وسيلة من أنجع الوسائل الدعوية وأقواها تأثيراً، لكن هذا الحوار ينبغي أن يحقق أهداف مشروعته حاولت في هذا البحث المتواضع أن أذكر أبرزها وهي:

- ١- الدعوة إلى الله تعالى .
- ٢- بيان الباطل وزهقه.
- ٣- رد الشبهات وكشف زيفها، وتحصين الآخرين من الوقوع فيها.
- ٤- إصلاح الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام في الغرب.
- ٥- إظهار وبيان سماحة الإسلام.
- ٦- المعذرة إلى الله في أداء الأمانة، والشهادة على الناس.
- ٧- إقامة العدل ودفع الظلم.



- ٨- الفهم المتبادل بين الإسلام والغرب.
 - ٩- التعاون لتحقيق مصالح مشتركة، والدفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة.
 - ١٠- درء المفسد عن المسلمين.
- ثم عطفت على هذه الأهداف بالمحاذير التي ينبغي للمحاور المسلم ألا يقع فيها وهي:

- ١- الولاء للغرب وعدم البراءة من الكفر.
 - ٢- الحذر من الوقوع في « دعوة التقريب بين الأديان » .
 - ٣- الاستعلاء وشعور المحاور الغربي بالفوقية والمحاور المسلم بالدونية.
 - ٤- تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات.
 - ٥- عدم الجهر بالحق، وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام.
 - ٦- حصر الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى.
- وختاماً أسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيما ذكرت من أهداف ومحاذير.
والله ولي التوفيق.



فهرس الموضوعات

١	المقدمة.....
٣	تعريف الحوار.....
٥	أهمية الحوار في الإسلام.....
٨	الأهداف المشروعة للحوار مع الغرب.....
٩	-أولاً: الدعوة إلى الله تعالى.....
١٢	-ثانياً: بيان الباطل وزهقه.....
١٤	-ثالثاً: رد الشبهات وكشف زيفها، وتحصين الآخرين من الوقوع فيها.....
١٦	-رابعاً: إصلاح الصور النمطية المشوهة عن الإسلام في الغرب.....
١٧	-خامساً: إظهار وبيان سماحة الإسلام.....
١٩	-سادساً: المعذرة إلى الله في أداء الأمانة والشهادة على الناس.....
٢٠	-سابعاً: إقامة العدل ودفع الظلم.....
٢٢	-ثامناً: الفهم المتبادل بين الإسلام والغرب.....
٢٣	-تاسعاً: التعاون لتحقيق مصالح مشتركة، والدفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة.....
٢٥	-عاشراً: درء المفسد عن المسلمين.....
٢٧	مخاذه الحوار مع الغرب.....
٢٧	-تمهيد.....
٢٧	-أولاً: الولاء للغرب وعدم البراءة من الكفر.....
٢٩	-ثانياً: الحذر من الوقوع في "دعوة التقريب بين الأديان".....
٣١	-ثالثاً: استعلاء المحاور الغربي وشعوره بالفوقية وشعور المحاور المسلم بالدونية.....
٣٢	-رابعاً: تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات.....
٣٤	-جامساً: عدم الجهر بالحق وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام.....
٣٥	-سادساً: حصر الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى.....
٣٦	الخاتمة.....
٣٨	فهرس الموضوعات.....